قرار ترامب: الآثار والتداعيات

بسام أبو عبد الله

شكل قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب الاستفزازي والأرعن، بنقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس تحدياً كبيراً للعالم بأسره، وللعالمين العربي والإسلامي بشكل خاص، وحول أنظار العالم مرة أخرى إلى جوهر الصراع في المنطقة، وبوصلته الأساسية أي فلسطين والقدس.

حاولت أن أبحث عن أسباب هذا التوقيت الذي انتقاه ترامب، وفريق عمله المقرب منه في الصحافة الأميركية والغربية لمحاولة فهم الخلفيات، والدوافع وراء ذلك، فوجدت أكثر من وجهة نظر تتناول هذا الموضوع، ومنها ما نشره موقع «ميدل إيست آي» البريطاني الذي تحدث إلى خبراء من مختلف الاتجاهات السياسية فأعطوا أربعة احتمالات:

الاحتمال الأول: أن ترامب يُنفذ وعداً من وعوده الانتخابية، وقراراً اتخذه الكونغرس الأميركي عام ١٩٩٥، وكان كل الرؤساء الأميركيين منذ بيل كلينتون يراجعون القرار كل ستة أشهر، ولا ينفذونه، بمن فيهم ترامب الذي أجل تنفيذ القرار في حزيران الماضي.

الاحتمال الثاني: يريد ترامب أن يلبي وعده لقواعد انتخابية دعمته، ومنها «لجنة العلاقات العامة الأميركية الإسرائيلية – آيباك» أي اللوبي الصهيوني القوي جداً، والنافذ في مختلف دوائر القرار الأميركية، حيث قدم لهم وعداً في آذار من العام الماضي، وحسب المعلومات فإن أحد كبار ممولي حملة ترامب الانتخابية، وأحد كبار مالكي نوادي القمار في لاس فيغاس شيلدون أديلسون كرر الطلب إلى ترامب في جلسات خاصة بضرورة تنفيذ هذا الوعد، وخاصة أن «المسيحيين الإنجيليين» دعموا ترامب بنسبة عالية من الأصوات، وهم يؤمنون بضرورة هدم الأقصى، وبناء الهيكل باعتبار ذلك من علامات نهاية العالم، وظهور المسيح حسب زعمهم.

الاحتمال الثالث: يريد ترامب تحضير الفلسطينيين للمرحلة القادمة، أي تنفيذ ما سُمي «صفقة القرن»، وقد بدأ بالأعقد، والأصعب والأكثر حساسية أي القدس، وجرى التمهيد بإجراءات ضغط منها: إغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن، وقف التمويل للفلسطينيين.. الخ، بهدف التحضير لهذه الصفقة المزعومة، ولذلك لابد من تحضير الرأي العام، والرئيس محمود عباس قبل إعلانها!

الاحتمال الرابع: ويجري الحديث فيه عن أن مستشاري ترامب وعلى رأسهم صهره جاريد كوشنير، وموفده للمنطقة جيسون غرينبلات، ومستشارين آخرين قدموا له نصحاً متحيزاً، وغير دقيق باعتبارهم من أكثر المنحازين والموالين لكيان الاحتلال.

وتقول أوساط أميركية: إن هؤلاء مع شخصيات في مكتب رئيس وزراء الكيان المحتل بنيامين نتنياهو لم يخططوا أبداً لتقديم حل واقعي، ومقبول للفلسطينيين على الدرجة الأولى، على الرغم من حديثهم عن حل الدولتين، لأن هؤلاء الوسطاء جميعهم عنصريون تجاه الفلسطينيين والعرب والمسلمين، ويتبنون وجهة النظر الإسرائيلية التاريخية ١٠٠ بالمئة من دون أي اعتراف بأي حقوق وطنية وإنسانية للشعب الفلسطيني.

الآن: بغض النظر عن مدى صدق هذه التحليلات وصحتها، فإنني أحاول أن أنقل للقارئ ما يجري تداوله في الإعلام الغربي، بهدف فهم خلفية ما يروج وما يكتب عن ذلك.

موقع «ذاهيل» الأميركي الوازن، اعتبر أن قرار ترامب من أخطر القرارات التي اتخذها على الإطلاق، لأنه لا يقدم دعماً دبلوماسياً غير مسبوق للادعاءات الإسرائيلية بالنسبة للسيطرة الكاملة على المدينة المقدسة فحسب، وإنما يشجع حكومة نتنياهو على الاستمرار بالسيطرة على فلسطين التاريخية، والتنكر لحق الفلسطينيين بالسيادة فوق أي جزء من فلسطين، مع إنكار كامل لحقوقهم الوطنية والإنسانية، ويدفع المتطرفين الإسرائيليين ويحفزهم، لإزالة الأماكن الإسلامية المقدسة في المدينة، وبناء الهيكل حسب اعتقادهم، ما سيؤدي لحرب دينية واسعة.

ويرى الموقع الأميركي أن القرار سيعزز نظام الفصل العنصري غير العادل تجاه الفلسطينيين ليس في القدس فقط، إنما في الضفة الغربية أيضاً، وخاصة أنه ينهي قرابة ٥٠ عاماً من المعارضة الرسمية الأميركية لأعمال إسرائيل غير الشرعية في القدس الشرقية والتي تخضع لاتفاقية جنيف الرابعة بشأن واجبات قوات الاحتلال، وهذه السياسة الأميركية ظلت مستمرة منذ عهد إدارة الرئيس الأميركي الأسبق ريتشارد نيكسون ١٩٦٩ التي رفضت عمليات التهجير ومصادرة الأراضي والاستيطان فيها أو التغيير في المباني التاريخية، أو الأماكن الدينية.

كما ينهي حوالي ٧٠ عاماً من السياسة الأميركية، والتوافق الدولي الذي يرفض الادعاءات الإسرائيلية بالسيادة على أي جزء من القدس، باعتبار أن الجمعية العامة للأمم المتحدة أوصت عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولتين، وأوصت بالقدس مدينة دولية تدار من الأمم المتحدة «وهو قرار لم ينفذ إطلاقاً»، وإنما عملت إسرائيل بالاحتلال والتآمر والتواطؤ، على فرض الأمر الواقع حتى وقتنا هذا.

ويخلص الموقع الأميركي للقول: إن الاعتراف بالقدس كعاصمة يحاول أن يقول إن كل إجراءات إسرائيل بالتطهير العرقي للفلسطينيين صحيحة، أي إن كل من طرد من غربي المدينة من الفلسطينيين كان طرده قانونياً.

بغض النظر عما تقدمه الدوائر الغربية والأميركية، لخلفيات القرار الأرعن، فإن ما قدمناه هدفه المعرفة، والإطلاع لفهم ما يطرح وما يسوق، وأعتقد أننا أمام الصورة التالية:

١- رفض دولي واسع للقرار الأميركي ظهر ذلك في جلسة مجلس الأمن، وكل دولة لها أسبابها، ومسوغاتها المرتبطة بمصالحها، ورؤيتها للواقع في المنطقة.

٢- رفض عربي مهزوز شاهدناه في اجتماع الجامعة العربية، فإذا أخرجنا المواقف العراقية، واللبنانية، والجزائرية، فإن بعض الدول العربية للأسف هي من دعم سراً قرار ترامب قبيل إصداره، وواضح أن البعض روج لذلك عبر مواقع التواصل الاجتماعي كمواقع سعودية مدعومة من محمد بن سلمان، وغيرها من مواقع، وصحف عربية.

الظاهر تماماً أن هناك اتجاهاً تقوده السعودية، والإمارات والتابع، نظام البحرين، للتطبيع، وإنجاز ما يسمى صفقة القرن، ولهذا كان إمام المسجد الحرام بعد قرار ترامب يُنظّر لـ«فقه مسح الجوربين، ودور المرأة في الإسلام» ونسي القدس، الأمر الذي يجعل صفة خادم الحرمين الشريفين صفة ساقطة من الناحيتين الأخلاقية، والدينية، والسياسية.

٣- على صعيد الواقع الإسلامي فإن إيران لم تتردد في إعلان رفض القرار، باعتبار أن قضية فلسطين، والقدس هي أولوية بالنسبة لها منذ قيام الثورة الإسلامية الإيرانية، ولم تتوقف عن دعم الشعب الفلسطيني، وأما تركيا فلقد وجد الرئيس رجب طيب أردوغان في قضية القدس، والقرار الأميركي فرصة ذهبية لالتقاط الأنفاس، وإعادة تعويم دوره في العالم الإسلامي، ولدى الشارع المتدين في تركيا لأسباب انتخابية، ولشد العصب القومي وخاصة أن تركيا ستشهد قمة لمنظمة التعاون الإسلامي يترأسها أردوغان باعتباره رئيساً لهذه الدورة، بينما يبدو أن تمثيل السعودية سيكون ضعيفاً، ومصر على مستوى وزير الخارجية.

كان لافتاً موقف هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف، وهو موقف يُبنى عليه، وخاصة أنه يحظى بدعم الكنيسة القبطية، أي يعبر عن موقف وطني مصري واضح، الأمر الذي يمايز بين الموقفين المصري، والسعودي بشكل واضح.

إعلان محور المقاومة بلسان الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله عن إستراتيجية جديدة عملانية، واقعية، سياسية، وإعلامية، يؤشر بوضوح إلى أهمية هذه اللحظة التاريخية، وضرورة التقاطها وتطويرها، باتجاه إنتاج حالة واسعة من التضامن، والتفاعل، والفعل نحو القضية المركزية فلسطين، ونحو القدس باعتبارها قضية فلسطينية، عربية، إسلامية، مسيحية، إنسانية، وإذا ما نجح محور المقاومة في تنفيذ هذه الاستراتيجية، فإن ذلك سيشكل نقطة تحول إستراتيجية يتم من خلالها الاستفادة من التهديد لتحويله إلى فرصة، وهو التهديد نفسه الذي عانت منه شعوب المنطقة، وخاصة في سورية والعراق، من خلال داعش وأخواتها، فتحول إلى فرصة قوت محور المقاومة، وكشفت أوراق الخصوم والأعداء، ونقلت المنطقة باتجاه مواجهة الخطر الأساسي والجوهري، وهو كيان الاحتلال، وداعموه السريون، والعلنيون.

لم تخطئ الفايننشال تايمز في ٧ كانون الأول الجاري عندما اعتبرت أن قرار ترامب حول القدس هو «تخريب دبلوماسي» لأنه قلل من قيمة الولايات المتحدة في أعين العالم، ووحد المسلمين ضد إسرائيل، في الوقت الذي كانت فيها المشاعر المعادية لإسرائيل ضعيفة نسبياً، وعقد من مهمة السعودية، وهو ضربة للسعوديين، ولمحمد بن سلمان الذي كان يعمل مع كوشنير ومبعوثه للمنطقة على خطة سلام جديدة، والأهم أن القرار نسف أي فكرة حول إمكانية أن تكون وسيطاً نزيهاً في مفاوضات السلام!

أعتقد أن الأهم الآن، هو الانطلاق نحو مرحلة جديدة تعتمد على ما قاله الرئيس بشار الأسد للملتقى العربي الذي عُقد في الشهر الماضي في دمشق، أي: «التنظيم، المنهجية، الواقعية»، والحمد لله الذي جعل من أعدائنا حمقى.

مسلحو القلمون الشرقي يعرقلون مفاوضات المصالحة

الوطن - وكالات

شهدت اللجان المفاوضة عن منطقة القلمون الشرقي انقساماً حاداً بين الممثلين المدنيين «الوجهاء»، وبين الممثلين عن الميليشيات المسلحة في محاولة من الأخيرة لعرقلة تلك المفاوضات.

وقالت مواقع إلكترونية داعمة للمعارضة أنه ورغم تقدم المفاوضات السريع مؤخراً خلال الشهر والنصف الماضيين في القلمون الشرقي، إلا أن اللجان المفاوضة عن المنطقة شهدت انقساما حادا بين الممثلين المدنيين «الوجهاء»، وبين الممثلين عن الميليشيات المسلحة في القلمون الشرقي والبادية.

وأقرت المواقع، أنه في هذه المرة فإن الميليشيات «تحاول عرقلة تلك المفاوضات»، تحت ذريعة أنها «وسيلة للنظام يهدف من خلالها للالتفاف على لجان المفاوضات وجعلها عامة في القلمون الشرقي وليس في الرحيبة فقط».

وفي السياق، ذكر القائد العسكري في ميليشيا «أسود الشرقية»، أحمد عباس، وفق المواقع أن «لجان المفاوضات تفاوض وكأنها تمتلك زمام الأمور بأكملها في القلمون الشرقي، وهي في الحقيقة لا تستطيع أن تفاوض عن الرحيبة حتى دون أن تتفق مع كافة الشرائح والفعاليات في المدينة حول صيغة معينة لطرحها، إضافة لمضيها في بنود تشكل خطراً كبيراً على مستقبل المنطقة، إذ يسعى النظام لجعل المنطقة خالية تماما من السلاح ولكن أي سلاح (سلاح المعارضة فقط) مع الاحتفاظ ببعض قواته هناك».

وأشار إلى أن البنود المتفق عليها «تتعارض مع ما اتفقت عليه اللجنة مع الفصائل في عدة بنود أولها موضوع السلاح الثقيل الذي اشترطت الفصائل أن يبقى بحوزتها مهما كانت الظروف وأن يخرج معها في حال خرجت من الرحيبة»، إضافة لمسألة «إخراج المعتقلين التي لطالما تغنى النظام بها ولم ينفذها في كل الهدن السابقة وإن نفذ فإنه يخرج مئة من كل ألف معتقل، وقد كان الشرط جعل الإفراج عن المعتقلين أول بند يتم تنفيذه في هذه المفاوضات».

وأضاف عباس: «الخميس الماضي توجهت لجنة الرحيبة إلى دمشق للقاء مسؤولين في النظام السوري بهدف بحث البنود، وذلك بعد أن سبق أن علقت اللجنة تواصلاتها مع لجان المصالحة المختصة منذ حزيران الماضي، وفضّلت التواصل مع شخصيات نافذة في النظام، كل هذه الأمور أدت لامتعاض القيادة العسكرية للنظام».

ولفت إلى أن المخاوف بشكل رئيس تتجسد في «محاولة استغلال الهدنة والالتفاف عليها ومحاولة تطبيقها بذات البنود في جميع مدن القلمون الشرقي واستغلالها لشن هجوم عسكري واسع من النظام على المنطقة كما حدث في الغوطة الشرقية، رغم أن موسكو سبق أن أعلنت أنها توصلت لاتفاق مع الفصائل المقاتلة في الغوطة كجيش الإسلام وفصائل أخرى».

رد على الخروقات بريف حمص الشمالي وأوجع مسلحي ريف دمشق

الجيش يتوغل في ريف إدلب ويسيطر على الظافرية الشرقية والغربية

حمص- نبال ابراهيم
حماة- محمد أحمد خبازي
دمشق- الوطن- وكالات

توغل الجيش العربي السوري في ريفي حماة الشمالي الشرقي وإدلب الجنوبي وتمكن من تحقيق مزيد من التقدم هناك، وكبّد «جبهة النصرة» الإرهابية والميليشيات المتحالفة معها خسائر فادحة بالأرواح والعتاد، في وقت واصلت وحدات منه استهداف مسلحي غوطة دمشق الشرقية وريف حمص الشمالي رداً على خروقاتهم لاتفاقات مناطق «خفض التصعيد».

وأكد مصدر إعلامي لـ«الوطن» أن الجيش بمساندة القوات الرديفة تقدم في ريفي حماة الشرقي الشمالي وإدلب الجنوبي، بمؤازرة الطيران الحربي الذين شن غارات مكثفة ومركزة على تحركات الإرهابيين وخطوط إمدادهم.

وسيطرت الوحدات المشتركة على قريتي الظافرية الشرقية والظافرية الغربية بعد اشتباكات مع النصرة التي خسرت عدداً كبيراً من أفرادها وعتادهم الحربي.

كما استهدف الجيش بصواريخه ونيران مدفعيته تحركات وتجمعات إرهابية في كل من اللطامنة وكفر زيتا بريف حماة الشمالي ما أدى إلى مقتل العديد من الإرهابيين وجرح آخرين.

إلى حمص، فقد ذكر مصدر عسكري لـ«الوطن»، أن الجيش بالتعاون مع السلطات الأمنية المختصة عثر خلال عمليات التفتيش والتمشيط في المناطق المحررة بمحيط مدينة القريتين في ريف حمص الجنوبي الشرقي على سيارتين مفخختين بكميات كبيرة من المواد المتفجرة كان تنظيم داعش الإرهابي قد خلفها وراءه خلال انسحابه وفراره من المنطقة.

ونفذ الطيران الحربي غارات على مواقع داعش في باديتي السخنة وحميمة وسط اشتباكات عنيفة، كما طالت الغارات أماكن تواجد التنظيم في منطقة العزيلة في بادية حمص الشرقية، أسفرت عن تدمير بعض مواقع وتحصينات داعش وإيقاع أعداد من مسلحيه قتلى ومصابين وتدمير عدد من وسائطهم النارية.

إلى ريف حمص الشمالي، فقد أكد مصدر ميداني لـ«الوطن» أن الميليشيات المسلحة جددت ليل أمس خرقها لاتفاق «خفض التصعيد» وأقدمت على إطلاق عدة قذائف صاروخية باتجاه قرية عين الدنانير.

وأوضح، أن الميليشيات المسلحة أقدمت أيضاً على استهدف حواجز الجيش الواقعة بالقرب من قرية خربة السودا برمايات رشاشة وقناصة وعدد من قذائف الهاون ما استدعى من قوات الجيش الرد والاشتباك مع تلك الميليشيات وإيقاع إصابات مباشرة في صفوفها.

كما استهدف الجيش بنيران مدفعيته الثقيلة والصاروخية مواقع الميليشيات في قرى الجاسمية والعامرية وعين حسين الجنوبي بريف حمص الشمالي الشرقي رداً على خروقاتهم لـ«خفض التصعيد»، وكبدهم خسائر بالأرواح والعتاد.

وفي ريف دمشق الجنوبي الغربي، استهدف الجيش بـ«رشقات من الصواريخ» مسلحي النصرة في بيت جن ومحيطها، في حين ذكرت مصادر أهلية لـ«الوطن» أن الجيش «استهدف برمايات مدفعية مواقع المجموعات المسلحة في عمق حي جوبر» شرق دمشق.

إلى ذلك ذكرت مصادر إعلامية معارضة أن غوطة دمشق الشرقية تشهد منذ صباح أمس، «قصفاً» من قوات الجيش «استهدف عدة مناطق لفيلق الرحمن وجيش الإسلام»، حيث قصف الجيش مواقع الميليشيات في أطراف بلدة عين ترما وفي مدينة حمورية، وبلدتي بيت سوى وحوش الضواهرة.

من جانب آخر، التحق «٤٠٠٠ مواطن متخلف عن الخدمة الإلزامية والاحتياطية» من منطقة الكسوة في صفوف الجيش العربي السوري، بحسب مصادر إعلامية عديدة.

وفي القنيطرة، أفادت مصادر أهلية لـ«الوطن» بأن الجيش «استهدف بالرشاشات الثقيلة تحركات المسلحين» على أطراف قرية الحميدية بريف القنيطرة.

في الأثناء، قتل مسؤول ميليشيا «لواء المتوكلون على الله» التابع لميليشيا «جيش الثورة» الملقب «أبو حذيفة يرموك» إثر استهداف سيارته بعبوة ناسفة في حي طريق السد بمدينة درعا.

شرقاً، ذكرت مصادر إعلامية معارضة، أنه «لم يتوقف القتال» في الريف الشرقي لدير الزور، حيث «استمرت عمليات القتال» بين قوات الجيش والقوى الرديفة لها من جانب، ومسلحي تنظيم داعش من جانب آخر.

ووفق المصادر «تتواصل العمليات القتالية العنيفة» شرق الفرات بين «قوات سورية الديمقراطية- قسد»، وتنظيم داعش، حيث «تمكنت على إثره» قوات عملية «عاصفة الجزيرة» من «التقدم وفرض سيطرتها على قرية» على الضفة الشرقية لنهر الفرات، بالتزامن مع «استمرار الاشتباكات العنيفة» في أطراف بلدة الجرذي الغربي وفي بلدتي أبو حمام والكشكية، وسط «استهدافات متبادلة ترافق القتال» بينهما.

انفجار بعبوة ناسفة يودي بحياة أحد قادة الميليشيات المسلحة في درعا (عن الإنترنت)

الحشد العراقي: ٦٠ بالمئة من الحدود مع سورية بقبضتنا

وكالات

أعلن نائب رئيس «قوات الحشد الشعبي» في العراق أبو مهدي المهندس، أن قواته تفرض السيطرة على ٦٠ بالمئة من حدود العراق مع سورية، من مجموع ٥٥٠ كم مساحة تربط بين البلدين. وقال المهندس في تصريح نقله الموقع الإلكتروني لقناة «روسيا اليوم» أمس: إن «القوات الأمنية والحشد الشعبي يمسكان الحدود مع سورية بشكل كامل»، مشيراً إلى أن الجزء الشمالي منها بيد «البيشمركة»، في إشارة إلى الميليشيات الكردية. وأوضح المهندس أن «٥٥٠ كم من هذه الحدود معظمها بيد الحشد الشعبي بنحو ٦٠ بالمئة، أما المتبقي فهو بيد الجيش العراقي وشرطة الحدود»، مشدداً على أن «الدولة» المزعومة لتنظيم داعش الإرهابي انتهت في العراق.

ولفت المهندس إلى أن داعش الفكر والإرهاب مازال يقوم بعمليات في بعض المناطق ولم ينته إلى حد الآن، وقال بهذا الصدد: «إننا بحاجة إلى جهد استثنائي أمني وسياسي واجتماعي بالمناطق التي من الممكن أن تتواجد فيها المجاميع الإرهابية».

وأعلن رئيس الوزراء العراقي، حيدر العبادي، السبت الماضي، تحقيق «النصر الكبير» والنهائي على تنظيم داعش الإرهابي في العراق، بعد رفع علم البلاد فوق مناطق غربي الأنبار التي كانت «آخرَ أرض عراقية مغتصبة». وقال العبادي: إن «قواتنا سيطرت بشكل كامل على الحدود السورية العراقية ومن هنا نعلن انتهاء الحرب ضد داعش».

جنوب دمشق إلى الواجهة الميدانية من جديد.. واحباط هجوم لداعش في «التضامن»

موفق محمد

عادت جبهة حي التضامن في جنوب العاصمة إلى المشهد الميداني من جديد، أمس، مع شن تنظيم داعش الإرهابي هجوماً أحدث خلاله خرق وتسلل إلى عدد من الأبنية، الأمر الذي تصد له الجيش و«قوات الدفاع الوطني»، وتمكنوا من إحباط الهجوم واستعادة كل الأبنية التي تسلل إليها الإرهابيون.

ويعتبر حي التضامن بوابة دمشق الجنوبية والفاصلة بين المدينة وريفها، ويلاصقه من الغرب مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين الذي يسيطر على جزء كبير منه داعش، وبلدتا ببيلا ويلدا من الشرق والجنوب على التتالي اللتان يسيطر عليهما ميليشيا «الجيش الحر»، أما من الشمال فيحده حيا الزاهرة ودف الشوك. ويسيطر داعش على عدد من الجادات في القسم الجنوبي من الحي تصل مساحتها إلى نحو أربعين بالمئة من مساحة الحي الكلية وتتصل ببلدتي يلدا وببيلا، على حين تسيطر الدولة على القسم الشمالي من الحي.

وعلمت «الوطن»، أن الهجوم نفذه مسلحو داعش صباح أمس من محيط أبنية الإسكان في القسم الجنوبي للحي، انطلاقاً من محور روضة بسمة الصباح باتجاه منازل المدنيين في الأحياء الواقعة تحت سيطرة الدولة والمحيطة بجامع الزبير.

وبحسب المعلومات المتوافرة، تمكن مسلحو التنظيم من فتح ثغرة سيطروا من خلالها على ما بين ١٠ إلى ١٢ منزلاً للمدنيين، على حين زعمت وكالة «أعماق» التابعة للتنظيم، أن مسلحوه «سيطروا على عدة نقاط لقوات النظام»، وتحدثت عن سقوط «قتلى وجرحى» من «قوات الدفاع الوطني» الأسد خلال المواجهات.

وتحدثت مصادر إعلامية عن قيام مسلحو التنظيم بـ«إعدامات ميدانية بطرق شنيعة بحق المدنيين في الموقع المخترق ومعلومات عن ٥ شهداء كحصيلة أولية».

وأوضح شهود عيان لـ«الوطن»، أن «قوات الدفاع الوطني» في الحي تصدت للهجوم ودارت اشتباكات عنيفة سمع دويها في الجادات المجاورة وتخللها قصف متبادل للقذائف الصاروخية والهاون، وصلت خلالها تعزيزات من الجيش العربي السوري إلى المنطقة انضمت إلى «قوات الدفاع الوطني».

ووفق مصادر في الحي تحدث لـ«الوطن»، وما نقلته مصادر إعلامية، فإن الجيش و«قوات الدفاع الوطني» تمكنوا عصراً من استعادة جميع الأبنية التي تسلل إليها مسلحو التنظيم وإرغامه على التراجع إلى أماكن تحصنه السابقة.

واللافت، أن حركة المارة والسيارات في القسم الشمالي من الحي كانت طبيعية رغم الاشتباكات التي طالت حتى عصر أمس، على حين لوحظ حالة استنفار لـ«قوات الدفاع الوطني» على مدخل حي التضامن الشمالي.

وشكل حي التضامن منذ عقود ماضية ساحة تعج بالتنوع والمحبة والنشاط، إلى أن لفحته رياح «الثورجية» وقلبت حياة سكانه رأساً على عقب وحولتها إلى جحيم.

وكانت أعداد قاطني الحي قبل بداية الأحداث في البلاد منتصف آذار ٢٠١١ تقدر بـ٢٠٠ ألف يشكلون نسيجاً اجتماعياً متنوعاً، فسكانه ينحدرون من أغلب محافظات البلاد، وأغلبيتهم منخرطون في مؤسسات الدولة وعلى كل المستويات، ومن ضمنهم نسبة عالية من الحاصلين على شهادات جامعية، وقد عاش الجميع في ظل تكافل اجتماعي ومحبة كبيرة لعقود من الزمن.

وفي بداية الأحداث ظل الحي بمنأى عنها، باستثناء انخراط عدد قليل من الأشخاص بتظاهرات كانت تخرج في مدينة الحجر الأسود في ريف دمشق الجنوبي وحي سليخة التابع لبلدة يلدا المجاور للتضامن من الجهة الشرقية. ومع تطور الأحداث أصبح عشرات المتمردين من الحجر الأسود وسليخة يقدمون بمرافقة قلة قليلة من شبان الحي منخرطة معهم ويخرجون في تظاهرات ويحرضون الأهالي على المشاركة فيها، لكن الأهالي كانوا وعلى الدوام يرفضون ذلك لا بل في كثير من الأحيان كانوا يدخلون في سجال معهم وأحياناً يتطور إلى عراك مع هؤلاء لرفضهم ما يقومون به.

وبعد تسلح المتمردين في مناطق مجاورة للحي وخصوصاً في حي سليخة راح هؤلاء يقومون بين الفينة والأخرى بالتسلل إلى التضامن والاعتداء على الأهالي وممتلكاتهم ليقوم الجيش العربي السوري ولمرتين على التوالي في تلك الفترة بتخليص حي التضامن منهم.

لكن التضامن في تشرين الثاني ٢٠١٢ كان على موعد مع غزوة كبرى من المئات من المسلحين المنضوين في ميليشيات ما يسمى «الجيش الحر» والقادمين من مناطق وبلدات الحجر الأسود وببيلا ويلدا والقدم والعسالي وسليخة المجاور لتجتاح التضامن من الجهة الجنوبية وتسيطر على القسم الجنوبي من الحي وتنكل بسكانه وممتلكاتهم، وليشهد ذلك القسم حركة نزوح كبيرة للأهالي إلى الأحياء المجاورة.

البعض من الأهالي لم يرق له حينها ترك منزله والدخول في دهاليز التشرد والنزوح فأصر على البقاء فيه، لكن المسلحين وانتقاماً من الأهالي لعدم استجابتهم لدعواتهم السابقة من أجل الانخراط في التظاهرات وأعمال التخريب عمدوا إلى طردهم من منازلهم بقوة السلاح.

ومع تطور الأحداث في تلك المنطقة وبروز تنظيمات إرهابية وجماعات إسلامية مسلحة إلى جانب ميليشيات «الحر»، سيطر داعش على القسم الذي كانت ميليشيا «الحر» تسيطر عليه، بعد أن كان التنظيم سيطر على الحجر الأسود وقسم كبير من مخيم اليرموك، على حين انكفأت ميليشيات «الحر» إلى بلدات يلدا وببيلا وبيت سحم، وذلك بعد أن نهبت ممتلكات الأهالي وعاثت فساداً في منازلهم.

ويعيش حالياً في الحي الواقع تحت سيطرة ميليشيا «لواء العز بن عبد السلام» المبايعة لداعش أهالي الدواعش الغرباء عن المنطقة.

أحد مسلحي داعش جنوب دمشق (عن الإنترنت)